

"كل ما ن فكر فيه هو كيفية البقاء على قيد الحياة": الحياة اليومية للمحاصرين في غزة



الاثنين 8 أبريل 2024 10:36 م

مع مقتل أكثر من 33 ألف شخص وتزايد المجاعة، نقل تقرير لصحيفة "الجارديان" وكتبه "بيتر بومونت" و"كامل أحمد" رواية بعض الأشخاص العالقين في الصراع عن كفاحهم اليومي من أجل البقاء على قيد الحياة فقط [1].
تمثل مائتان وخمسون سعرة حرارية شريحتين من خبز القمح الكامل الذي يتم بيعه في السوبر ماركت في المملكة المتحدة [2] اثني عشر في المائة من المدخول الغذائي الموصى به [3] واليوم في شمال غزة، الذي يقع بالفعل في قبضة مستوى "كارثي" من الجوع كما حدته الأمم المتحدة، يمثل هذا السعرات الحرارية ليوم كامل [4].

بعد مرور ستة أشهر على الحرب الإسرائيلية ضد غزة، والتي أعقبت الهجوم الوحشي المفاجئ الذي شنته حماس على المجتمعات الحدودية في جنوب إسرائيل في 7 أكتوبر من العام الماضي والذي أدى إلى مقتل 1200 شخص، معظمهم من المدنيين، واحتجاز ما يقرب من 250 آخرين كرهائن، أصبح الجوع الحاد منتشرًا في المناطق الساحلية [5].
بالنسبة لأولئك الذين لديهم المال، هناك نقص خطير في الغذاء [6] وبالنسبة لأولئك الذين ليس لديهم أي شيء - ومع قيام إسرائيل، وفقا لمسؤولي الأمم المتحدة والوكالات الأخرى، بعرقلة تسليم المساعدات الإنسانية لعدة أشهر - أصبح العثور على لقمة العيش مسألة حياة أو موت [7].

ووفقًا لتقرير لجنة الأمن الغذائي العالمي، وهي آلية مراقبة الجوع التي تدعّمها الأمم المتحدة، فمن المتوقع أن يعيش 1.1 مليون شخص، أي نصف سكان غزة، في ظل جوع كارثي في غضون ثلاثة أشهر إذا لم يتصاعد العنف [8].
وقالت إحدى الأمهات مؤخرًا لمنظمة أوكسفام البريطانية: "قبل الحرب كنا بصحة جيدة وكانت أجسامنا قوية [9] والآن، عندما أنظر إلى أطفالتي ونفسي، أجد أننا فقدنا الكثير من الوزن [10] نحاول أن نأكل كل ما نجده، من نباتات أو أعشاب صالحة للأكل، فقط من أجل البقاء".
وكررت أم أخرى لستة أطفال هذه الرواية لمنظمة الصحة العالمية، موضحة أن النباتات البرية متوفرة في الأسواق بأسعار مرتفعة بشكل أساسي "بدون خضروات ولا فواكه ولا عصير [11] ولا عدس ولا أرز ولا بطاطس أو بذونجان، لا شيء". وأصبح الكثيرون يعيشون على تناول الملوخية [12].

وقال التقرير: "في قطاع غزة المدمر والمحاصر، والمهدد باستمرار بالقنابل والمدفعية والطائرات المسييرة، تُعرف الحياة بلازمة يكرها الكثيرون: "ما زلت حيا [13] ما زلت أتفلسف".
يقول "محمد مرتجى"، وهو واحد من مئات الآلاف الذين نزحوا إلى مدينة رفح الجنوبية، التي أصبحت الآن مكاناً مهدداً بعنف إسرائيلي جديد: "لا أعرف إذا كنت لا أزال أشعر بأي شيء سوى الخوف والحزن والإحباط".
وتابع: "كل صباح تشرق الشمس وأنت على قيد الحياة [14] رحلتك اليومية هي البقاء على قيد الحياة - بين البحث عن الماء والغذاء والهروب من القصف والاحتلال".

وتابع "مرتجى"، إنه يركز بشكل كامل على البقاء ولم يعد يهتم بالأخبار [15] وبعد ستة أشهر طويلة، تم تضيئة الأمل أيضًا جانبًا، وحل محله شعور بالخدر والاضطراب [16].
وأضاف: "لم تعد تغريبي كلمات مثل الهدنة أو وقف إطلاق النار [17] لا يهمني أي شيء، أنا فقط أبحث عما يشبع جوعي وعطشي وأنتظر موتي بفارغ الصبر".

وقُتل أكثر من 33 ألف فلسطيني في غزة، من بينهم أكثر من 13 ألف طفل، بحسب وزارة الصحة في غزة [18].
في نصف عام من الصراع العنيف، الذي جاء بدوره في أعقاب سنوات من الحصار الإسرائيلي للقطاع الساحلي، والذي ساهم في تعزيز حماس أكثر من تقويضها، يتم تعريف غزة اليوم بما فقدناه أكثر مما بقي من غزة التي كانت مجتمعًا نابضًا بالحياة ذات يوم [19].
وقد سوّيت مباني سكنية وأحياء بأكملها بالأرض [20] وتحولت المستشفيات إلى أنقاض، وأصبحت الآن تجوبها الكلاب وتفوح منها رائحة الصرف الصحي [21] تم تفجير الجامعات وتدمير الزراعة [22] وقد تعطلت الكهرباء ومعها القدرة على معالجة مياه الشرب ومياه الصرف الصحي بشكل مميّت، مما ساهم في انتشار الأمراض [23].

اعتبارًا من الشهر الماضي، خلصت صور الأقمار الصناعية التي حللها مركز الأمم المتحدة للأقمار الصناعية إلى أن 35% من المباني في قطاع غزة قد دمرت أو تضررت خلال الهجوم. لقد تم تفتيت الحياة نفسها حيث دفعت الحرب أكثر من 80 بالمائة من السكان البالغ عددهم 2.3 مليون نسمة إلى ترك منازلهم للبحث عن مأوى بشكل رئيسي في الجنوب في ظروف مكتظة وغير صحية. وقد تعطلت عمليات تسليم المساعدات بسبب إغلاق إسرائيل للمعابر البرية إلى غزة، في حين أن عمليات الإنزال الجوي الأخيرة محدودة النطاق وأدت في عدة مناسبات إلى وقوع وفيات بعد مشاكل تتعلق بفشل المظلات وإسقاط المساعدات في البحر. والسؤال بالنسبة لغزة هو إلى أين ستتجه الحرب؟.

ويجب التقرير: "هناك سيل من الإدانة الدولية لإسرائيل لمقتلها سبعة من عمال الإغاثة من مؤسسة المطبخ المركزي العالمي الخيرية الأسبوع الماضي في غارة طويلة بطائرة مسيرة ضربت سياراتهم، واحدًا تلو الآخر، في أعقاب الغضب من ارتفاع عدد القتلى وتصاعده وتزايد المعاناة".

وبينما وافقت إسرائيل، تحت ضغط الولايات المتحدة في أعقاب مقتل عمال الإغاثة، على فتح المزيد من المعابر الحدودية للسماح بدخول المزيد من المساعدات، يعتقد بعض المسؤولين الدوليين، بما في ذلك منسق السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي "جوزيب بوريل"، أنه ما زال قليلًا جدًا ومتأخرًا للغاية لمنع هذه المعاناة.

وقال "جان إيجلاند"، الأمين العام للمجلس النرويجي للاجئين: "يجب على إسرائيل وحلفائها ضمان تدفق المساعدات الآن بحرية لتجنب المعاناة، وأنه سيكون هناك نظام حماية للعاملين في المجال الإنساني ضمن أمننا نحن بحاجة إلى حماية المدنيين الفلسطينيين، الذين قُتلوا بشكل عشوائي خلال الأشهر الستة الماضية".

وإلى جانب التهديد بالمعاناة، فإن السؤال الأكبر هو ما الذي سيحدث لرفح، التي يسكنها 1.5 مليون شخص، والتي يقول رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" إنه يخطط لمهاجمتها على الرغم من اعتراضات واشنطن وحلفاء آخرين. ويقول "أحمد مسعود"، وهو ناشط في مجال حقوق الإنسان من غزة ويعيش الآن في رفح بعد تهجيره ست مرات خلال الأشهر الستة الماضية - وهي تجربة نموذجية - إنه فقد 40 من أصدقائه ومنزله وعمله. وهو الآن يخشى فقدان صحته العقلية. وتابع "مسعود"، الذي يصف معركة مستمرة للحفاظ على صحته العقلية التي يخشى ألا تنجو بسبب الحرب: "كل ما نفكر فيه هو كيفية البقاء على قيد الحياة والنضال من أجل الحصول على الماء والغذاء عندما يأتي الليل، نفكر أكثر في القتل - خاصة لأننا نسمع أصوات الطائرات الحربية الإسرائيلية على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، وخاصة الطائرات المسيرة".

وأضاف: "أنا محظوظ جدًا لأنني لا أزال أملك عقلي ولم أفقده بعد". لكن رفح لم تعد الآن منطقة آمنة - على الرغم من أنها لم تُعفى مطلقًا من الغارات الجوية - ويقول السكان إن الشائعات نشأت عن غزو إسرائيلي وشيك.

وقال فلسطيني آخر يعيش في المدينة طلب عدم ذكر اسمه: "كل شيء مدمر من حولنا نشعر أنهم سيدخلون رفح في أي لحظة الآن. نحن ننتظر إخلاء رفح في أي لحظة ربما سنتوجه نحو البحر، إلى الشاطئ".

ويقول "مسعود"، إن الجميع في رفح ينتظرون الغزو لكنهم لا يعرفون إلى أين يذهبون. وقد دفع الشعور المدمر والمنتشر بالخوف أولئك الذين لديهم اتصالات في الخارج إلى إصدار نداءات يائسة لاقتراض أموال لدفع الرشاوى الباهظة التي يطلبها "السماسرة" المصريون - والتي تصل أحيانًا إلى عشرات الآلاف من الدولارات لعائلة واحدة - للهروب عبر الحدود. وذكر "مسعود" أن الإدارة الأمريكية تريد خطة واضحة لإجلاء الناس إلى بر الأمان بصراحة، لا أعرف ما هي "المنطقة الآمنة" التي يتحدثون عنها. إنه خوف كبير حقًا، لكننا اعتدنا على القتل، وسماع الأخبار الحزينة، لذلك ليس لدينا ما نخسره. وها نحن هنا ننتظر مصيرنا. على الرغم من الضغوط الدولية المتزايدة لوقف القتال، بما في ذلك صدور قرار بهذا المعنى في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة مؤخرًا، ركزت مفاوضات وقف إطلاق النار على إطلاق سراح عشرات الرهائن الإسرائيليين الذين احتجزتهم حماس - والذين يُعتقد أن الكثير منهم ماتوا في الأسر - يظنون عالقين رغم حجم المعاناة.

وعلى الرغم من ادعاءات إسرائيل بأنها قتلت نحو 13 ألف من مقاتلي حماس وفككت القدرات العسكرية للحركة في أغلب أنحاء غزة، فليس هناك ما يشير إلى أن حماس قد انتهت، مع إعادة مقاتليها تجميع صفوفهم في المناطق التي أعلنت إسرائيل انتصارها فيها في السابق. ويقول "مايكل ميلشتين"، وهو ضابط سابق رفيع المستوى في المخابرات العسكرية الإسرائيلية وخبير في الدراسات الفلسطينية في جامعة تل أبيب، إن إسرائيل تواجه خيارين غير جذابين: إما قبول اتفاق الرهائن ووقف إطلاق النار الذي يعترف ببقاء حماس، أو تكثيف الحملة العسكرية وغزو غزة على أمل أن يتم تدمير حماس في نهاية المطاف.

ورأى أن التوقعات بأن النهج الحالي الذي يتبعه الجيش الإسرائيلي يمكن أن يدمر حماس أو يجبرها على الاستسلام هي "تفكير بالتمني". وكان "عاموس هاريل" في صحيفة هآرتس الإسرائيلية أكثر صراحة، حيث وصف الحرب الراكدة، والقوات المحترقة، وعدم الحساسية المتزايدة لحياة الفلسطينيين حيث "فكرة أنه لا يوجد أبراء في غزة" منتشرة بين القوات المقاتلة. وكتب: "اليوم من الواضح للجميع - باستثناء الاتباع الأعمى - أن وعود "النصر الكامل" التي يطلقها رئيس الوزراء "بنيامين نتنياهو" كل يومين لا قيمة لها على الإطلاق".

وختم تقرير "الجارديان": "في الوقت الحالي، كل ما يمكن قوله على وجه اليقين هو أن الحرب التي تُشن بتوقعات غير واقعية ستستمر لفترة أطول وسط العزلة الدولية المتزايدة لإسرائيل. وأن من يدفع الثمن الأكبر هم المدنيون الفلسطينيون في غزة".

<https://www.theguardian.com/world/2024/apr/07/all-we-think-about-is-how-to-stay-alive-the-horror-of-daily-life-for-those-trapped-in-gaza>